

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ
الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ
عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ
اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾

العبر والدروس من الرسائل السابقة

(012) سورة يوسف

الدرس السابع عشر: شرح الآيات 109-111

2021-11-20

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على نبينا الأمين، اللهم علّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علّمنا وردنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين وبعد.

الدعوة إلى الله:

مع اللقاء السابع عشر والأخير من لقاءات سورة يوسف، وقد وصلنا في اللقاء الماضي إلى قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ تَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (108)

[سورة يوسف]

هذه الآية الكريمة مع قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَعْلَمُ بِمَنْ صَلَّى عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (125)
أَدْعُو إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْخَسِيَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ

[سورة النحل]

هما من أهم الآيات في كتاب الله تعالى حول الدعوة إلى الله، فهما يقرران أن الأصل في رسالة الإسلام أنها دعوة، الأصل في الإسلام أنه دعوة، والدعوة تقتضي أن يستجيب الإنسان أو لا يستجيب.

فليس هناك إكراه في الإسلام، وهذا ينفي كل التهم التي يوجهها بعض أعداء الإسلام وبعض أديانهم بأن الإسلام انتشر بحدّ السيف، سواءً قصدوا في ذلك ما يقصدونه من ورائه أو لم يقصدوا، لكن في حقيقة الأمر الإسلام دعوة، قال تعالى: **(ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ).**

(قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي)، أي هذا منهجي، هذه طريقي، قلنا: السبيل هي الطريق، وثوّت وتذكر، هنا أثبتت، قل هذه سبيلي.

يوجد آية ثانية:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
سَأَصْرَفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ يَعْبُرُ الْحَقَّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا **** وَإِنْ يَرَوْا
سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا **** وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْعَمَىٰ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ كَذِبًا يَأْتِيَانَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (146)

[سورة الأعراف]

جاءت بالمذكّر، فالسبيل: تُذكر وتوثق لغةً، فيقول لك: قل هذه سبيلي، ما هذه السبيل؟ ادع إلى الله، هي سبيل الدعوة، والدعوة تملك أن تقبلها أو أن تردّها، أنا إذا اتصلت بك هاتفياً ودعوتك إلى منزلي فلك أن تقبل دعوتي أو أن ترفض، بالمبدأ لك أن تقول لي: أوافق، ولك أن تقول لي: أعتذر، عندي موعد، فالدعوة تقتضي قبولاً أو رفضاً.

الابتعاد عن الخلط بين أخلاق الدعوة وأخلاق الجهاد:



الجهاد هو القوة التي تحمي الدعوة في أصل منهج الإسلام أن الإسلام دعوة، بعض المسلمين من غير أن يشعروا خلطوا بين أخلاق الدعوة وأخلاق الجهاد، الدعوة لها جهادٌ يحميها، الجهاد هو القوة التي تحمي الدعوة، وليس هو سبيل الدعوة، الجهاد ليس دعوة إلى الله، الجهاد هو القوة التي تحمي الدعوة إلى الله تعالى، لأن كل حق لا بدّ له من قوة تحميه، هذا من بدهيات الحياة، في سورة الحديد:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ **** وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ
بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ **** وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (25)

[سورة الحديد]

مع الدعوة يوجد حديد، هناك حديد، فلا بد من الدعوة ولا بد من الجهاد الذي يحمي الدعوة، لكن لا نخلط بين أخلاق الجهاد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ **** جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ **** وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيُنْسَى الْمَصِيرُ (73)

هذه في أرض المعركة.
وبين أخلاق الدعوة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
"قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ
الْمُشْرِكِينَ (108)

[سورة يوسف]

هذه الآية الكريمة مع قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
"ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
أَعْلَمُ بِمَنْ صَلَّٰ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (125)

[سورة النحل]

بالتي هي أحسن وليس بالحسنى فقط.
فقضية الدعوة واضحة في دين الله، ديننا دعوة إلى الله، تدعوه، إن شاء وافق وإن شاء رفض.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
"لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ
اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (256)

[سورة البقرة]

والجهاد جاء ليحمي الدعوة، لأنك إن لم تكن لك قوَّة تحمي دعوتك فأعداء الدين سيُسكِّلون تلك القوَّة ويمنعونك من الدعوة، أعداؤك سيُسكِّلون تلك القوة ويمنعونك من الدعوة، ومنعهم من الدعوة يكون على ضربين:

الضرب الأول: أن يمنعوك، يقول لك: ممنوع الدخول في الإسلام، إذا بنتت درساً لم يناسب أهواءهم يجربونه مباشرة، منعوك من الدعوة.

وهناك ضرب ثان: يمنعونك من الدعوة حينما ينشرون الفساد في الأرض بشكل كبير بإعلامهم، وجبروتهم، وبطغيانهم، ينشرون الفساد، فأنت تصيح تدعو الشباب إلى الله، فتجد هناك ألف طريق يصرفهم عن الحق، كأنهم بذلك منعوك من الدعوة أيضاً لكن المنع هنا بالقوة الناعمة وليس بالقوة الخشنة.

اللَّهُ

نحن دُعاة إلى الله

فمُحصلة الأمر نحن دُعاة إلى الله، كلنا، نحن لم نأت لِنُحارب الناس، بل لكي ندعوهم إلى الله، لكن الدولة الإسلامية مُخوّلة، مطلوبٌ منها أن تُشكّل قوةً تحمي الدعوة إلى الله عز وجل حتى لا يعبت أحد بدين الناس، ولا ينال أحد من دين الله، ولا ينال أحد من رسولنا، ولا من ديننا، ولا من قُوتنا، يصبح لنا قوة، نصبح مرهوبي الجانب. لَمَّا جاء ربعي بن عامر إلى رستم ملك الفُرس قال: (نحن قومٌ ابتغنا الله تعالى لِنُخرج من شاء من العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد) لكن لَمَّا دخل عليه بقوة لا يستطيع أن يمنعه ويقول له: لا أسمح لك أن تدخل وتدعو الناس إلى الله عز وجل، معي قوة تحميني إن رفضت. هذا هو الجهاد تحديداً، هو القوة التي تحمي الحق، وليست القوة التي تُجبر الناس على الدخول في الحق، كما قَهَمَها البعض خطأً وظُلماً، وعدواناً بقصدٍ أو بغير قصد.

الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن:

إذاً أول ما في هذه الآية: قل هذ سبيلي أدعو إلى الله، سبيلنا هو سبيل الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، لماذا؟ لأن هناك فريقاً من الناس يقبلون الحق لكن لم يصلهم بعد، هؤلاء يحتاجون إلى الحكمة فقط.

لك صديق يُحب الحق، وأهل الحق، لكن لا يعرف الحكم الشرعي، كيف تدعوه إلى الله؟ بالحكمة في القول، في المكان المناسب، في الزمان المناسب، على انفراد، الحكمة. وهناك أشخاص يقبلون الحق لكن يحتاجون إلى ترغيب وترهيب، أي إن أعطيتهم الدعوة من غير وسائل ووعظ، وترغيب بجنة، وترهيب من نار، فإنه لا يستجيب، هذا ليس سهلاً. قال: والموعظة الحسنة، هذا يحتاج إلى موعظة، وأن تكون الموعظة حسنة، والموعظة تعني أن تقول له: إن لم تفعل هناك عقاب من الله، إن فعلت هناك جنة، هذه موعظة، الموعظة الحسنة.

وجادلهم بالتي هي أحسن، هذه للصف الثالث من الناس المعادين للحق، هؤلاء تحتاج أن تدخل معهم في جدال، فهؤلاء لم يقل لك: وجادلهم بالحسنى، بل قال: بالتي هي أحسن، هؤلاء الصف الثالث الذين يعادون الحق، اتبع معهم الأحسن وليس الحسن بل الأحسن، لأنه مُتمسك بفكرته فإن جادلته بسوء ازداد تمسكاً بفكرته السيئة، أما إن جادلته بالأحسن فإنه بعد قليل يلين قلبه للحق، إذاً سبيلنا هو الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن.

الدعوة إلى الله على بصيرة:



البصيرة بصيرة القلب

(قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي) إما أن نقف: قل هذه سبيلي أدعو إلى الله، ثم نقرأ على بصيرة أنا ومن اتبعني، أو قُلْ: قل هذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي، كل واحدة تعطي معنى.

البصيرة غير البصر، البصر للمحسوسات، أبصرُ الشيء رأيتُه بعيني محسوساً مُشاهدًا.

البصيرة بصيرة القلب، فهنا على بصيرة للمعنويات وليس للمحسوسات، البصيرة هي ذلك النور التي يقذفه الله تعالى في قلبك من خلال صِلَتِكَ بالله، هي الدليل الذي تعطيه للإنسان فتُثبِّعه بالحق، هي التعليل الذي تُعلِّله له، أي إن سألت مثلاً: لماذا تدفع زكاة أموالنا؟ قل له: هذا حق الفقير.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ (103)

[سورة التوبة]

الصدقة تُطَهِّرُ نفسك من الشُّحِّ، تُطَهِّرُ نفس الفقير من الحقد، الصدقة تُطَهِّرُ مالك من تعلق حق الآخرين به، وهكذا، تُزَكِّيكَ، تنمو بمالك، تُعطيك المضاعفة من الله، تُعَلِّلُ له، هذه بصيرة، ولا تناوله الأمر هكذا، خذ أمراً واكتف من غير دليل، من غير تعليل، من غير نور من الله، من غير دعوة حسنة، هذه البصيرة، على بصيرة.
(أنا ومن اتبعني) إذاً كل من يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ينبغي أن يدعو إلى الله على بصيرة، في حدود ما يعلم ومع من يعرف، وليس الدعوة التفصيلية.

الله تعالى لا مثيل في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله:

(وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا آتَا مِنَ الْمُسْرِكِينَ) سبحان الله أي أنزَّهه، أنزَّهه في ذاته وصفاته وأفعاله، فليس هناك إلا الله، ولا شريك له في ذاته، وفي صفاته فهو جلَّ جلاله الحي الدائم الباقي، الذي لا يشبهه شيء في صفاته، فأنت سميع وهو جلَّ جلاله سميع، ولكن أين سمعك من سمعه؟ ليس كمثل شيء سبحان الله!
وفي أفعاله فأنت تفعل، والله تعالى فعَّال لما يريد، ولكن أين فعله من فعلك؟! أنت تفعل بقوته، وتفعل بأمره، وتفعل بإذنه، وهو جلَّ جلاله فعَّال لما يريد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (16)

[سورة البروج]

فسبحان الله أي لا مثيل في ذاته ولا صفاته ولا أفعاله.
(وَمَا آتَا مِنَ الْمُسْرِكِينَ) هذا التوحيد، وما تعلَّمت العبيد أفضل من التوحيد.

الرجولة ليست هي الذكورة فقط وإنما هي القوة أيضاً:

الآن نتقل إلى الآية (109) من السورة بقوله:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ> أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ
فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ (109)

[سورة يوسف]



النبى لا يكون أنشئ
الآن رجع إلى الرسائل السماوية السابقة، يُخاطب نبيًا محمد صلى الله عليه وسلم، كل من أرسل من قبلك كانوا رجالاً، استدلَّ بعض أهل العلم بهذه الآية على أن النبي لا يكون أنشئ، النبي لا يكون أنشئ، أو الرسول لا يكون أنشئ عموماً، وليس ذلك انتفاصاً من شأن الأنبياء وإنما لما يناسب جاءها، فالنبي يقوم بمهمات لا تستطيع الأنبياء القيام بها، يواجه عناد قومه، بهاجر، يتخذاهم بالمعجزة، يدخل في صفوف المعركة قائداً وقائد جيش أحياناً، فالنبي له مهمات؛ وتلك المهمات لا تناسب المرأة التي وهبها الله عز وجل من الإمكانات التي تناسب مهمتها التي ينبغي أن تقوم بها، إلا رجلاً، لكن هنا إلا رجلاً هنا كلمة رجال ليس المقصود بها هنا الذكورة، صحيح النبي لا يكون إلا رجلاً - وهذا مجمع عليه - لم يأت نبي أنشئ ولا رسول أنشئ، لِمَا يكتنف مهمة الرسالة والنبوة من بعض الأشياء التي لا تستطيعها الأنشئ.

نعم البعض قال: ممكن أن تكون مريم نبياً، لكن لم تُكَلِّف برسالة، أي لا يوجد عندها أعباء الرسالة، والبعض قال: هي امرأةٌ سالحة وليست نبيةً، والله أعلم. لكن الرسول لم يأت أثنى، الرسول مطلوب منه أن يُبَلِّغ، ويتحدى قومه، ويناقشهم، ويجادلهم، لا يوجد، لكن هنا رجالاً ليس معناها الذكورة فقط، وإنما معناها القوة. سيدنا سعد كان يقول: " ثلاثة أنا فيهنّ رجل - لا يقصد أنا فيهنّ ذكر - أنا فيهنّ رجل أي أنا بطل، وفيما سوى ذلك فأنا واحدٌ من الناس، قال: ما سَمِعْتُ حديثاً من رسول الله إلا عَلِمْتُ أنه حقٌ من الله تعالى، وما ضَلَّيت صلاةً فَشَقَلْتُ نفسي غيرها حتى أَقَصَّيْهَا، وما بَيَّرْتُ في جنازة فحدَّثْتُ نفسي بحديثٍ غير حديثها حتى أَفْرَعُ من دفنها ". يعتبر نفسه رجلاً في هذه المواقف. فالرجل ليس ذكراً وإنما القوة، زاده بسطةً في العلم والجسم، فالرجولة ليست هي الذكورة.

النبى الكريم بشر تجري عليه كل خصائص البشر:



الأنبياء رسل ليسوا ملائكة

{**الْأَرْجَالُ نُوحِي إِلَيْهِمْ**} أي هو ليس ملكاً أيضاً، هو ليس ملكاً، الأنبياء رسل ليسوا ملائكة، من بني البشر، لأنهم لو كانوا ملائكة لَمَا قامت بهم الحُجَّة، ولقال قائلٌ من الناس: هؤلاء ملائكة يسرون على الأرض وما عندهم شهوات فلذلك لا يعصون الله ما أَمَرَهُمْ، لكن النبي صلى الله عليه وسلم يقول:

{ **إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، أَرْضَى كَمَا يَرْضَى الْبَشَرُ، وَأَعْصِبُ كَمَا يَعْصِبُ الْبَشَرُ** }

[متفق عليه]

فانتصر على بَشَرِيَّتِهِ فكان سيد البشر، فهنا أيضاً إلا رجلاً تشير إلى أنهم ليسوا ملائكة وإنما من صنف البشر، لكن ما مَرَّبْتَهُمْ؟ قال: نوحى إليهم.

المُرَبَّةُ هي الوحي، لذلك لا تلتفتوا إلى من يحاول اليوم بسوء يَبِّه أن يُظَهِّر نبينا صلى الله عليه وسلم على أنه عبقريٌّ أو مصلحٌ كبير أو قائدٌ فدّ، نعم، هو عبقريٌّ و مصلحٌ وقائدٌ فدّ لكن هو رسول الله قبل كل شيء، إن أردت أن تضيف بعد رسول الله ما شئت من صفات الكمال لرسول الله فافعل، لكن أن تتناسى أنه رسول الله، وأن يكون القصد عند بعض الناس بعبقري وفذ وقائد أن ينفي عنه الرسالة، وأن يصيح واحداً كالمُصلحين في هذا العالم، لا، الأصل أنه رسولٌ نُوحى إليه، فما جاءنا عن طريقه تشريع نأخذه دون نقاش، أما ما جاءنا عن المُصلحين والعباقرة فيُصيب ويُخطئ لأنه من عنده، أما ما جاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو وحيٌ من الله.

الحكمة من أنّ الأنبياء كانوا يأتون في القرى وليس في البوادي:

إذاً: {**نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى**} هؤلاء الرجال من أهل القرى، القرية في مصطلحنا اليوم هي حسب التَّجْمَع السكاني إذا كان عدد البشر أقل من عدد معين محدد في القوانين تسمى قرية، إذا زاد عدد السكان تسمى مدينة، في القرآن تقريباً المدينة والقرية مع اختلاف الاستخدامات يُطلقان على المدينة، أي على التجمع البشري الذي هو ليس من أهل البادية، لأن أهل مكة أم القرى، ومكة ليست قرية، مكة كانت أم القرى مدينة، لكن في القرآن الكريم القرية هي في مقابل البادية أهل البدو، أهل البدو عندهم بعض الشيثة والفظاطة أحياناً في التعامل، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
«الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِقَافًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رُسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (97)»

[سورة التوبة]

أهل البوادي لأنهم بعيدون عن الحق فجفاء البادية أصابهم بالجفاء.

أهل المدن أكثر قبولاً لدعوة الأنبياء، لذلك الأنبياء كانوا يأتون في القرى، فقال: من أهل القرى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَقْلَمَ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَقَلًا تَعْمَلُونَ (109)

[سورة يوسف]

آيات الله في الكون والقرآن والأفعال:

ربنا جلّ جلاله له آيات في الكون، وله آيات في القرآن، وله آيات في الأفعال.
في الكون: شجرة تدلك على وجود الله، في القرآن هذه الآيات التي نقرأها فتتعلّم منها و تستدلّ منها على الله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ 1 اللَّهُ الصَّمَدُ 2 لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ 3 وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4)

[سورة الإخلاص]

نتعرف على الله من خلالها.
في الأفعال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (6)

[سورة الفجر]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (1)

[سورة الفيل]

هذه تشير إلى آيات الأفعال.

دعوة الله عز وجل البشر إلى أن يسيروا في الأرض ويتعظوا بغيرهم:



الأرض لها غلاف جوي يتحرك معها

أَقْلَمُ تَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ بعض العلماء استدلوا من قوله تعالى في الأرض على ناحية علمية لم تكن معروفة عند نزول اللوح، وهي أن الإنسان عندما يسير على الأرض إنما هو يسير فيها، لأن الأرض لها غلاف جوي وهو يتحرك معها، والمخلوق بالشيء تابع له، فأنت تسير بين غلاف الأرض والأرض وكله يتحرك فكأنك تسير فيها لا عليها، هذا استنباط بعض العلماء، أما باللغة أيضاً فصحيح أن تقول: يسير عليها ويسير فيها بمعنى أنه داخل فيها، وكأنه أصبح جزءاً منها، فيتعظ بما يشاهد، بدل على، على للاستعلاء، في اللطرية، كأنك داخل الشيء، على: فوق الشيء، لذلك ربنا عز وجل في القرآن قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (5)

[سورة البقرة]

والمشركون:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَقْمَنَ سَرَّحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِنْ رَبِّهِ قَوْلٌ لِقَائِيهِمْ فَلَوْبِهِمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ
فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (22)

[سورة الزمر]

فالهدى رفقهم فأصبحوا على الهدى، والضلال غمستهم فأصبحوا فيه، غاصوا فيه. (على، في).

أَقْلَمُ تَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا إذاً يدعونا ربنا عز وجل هنا إلى أن نسير في الأرض فننظر، هذه دعوة من الله، يُعَاتِبُ من لم يسر في الأرض فينظر.

انظر إلى الأمم السابقة، انظر أين أصبحت مَآد، وأين ثمود، وأبن فرعون، إذا ذهبت إلى مصر أو شاهدت الأهرامات، وهنا كان يعيش طغاة الأرض، ويسومون الناس سوء العذاب، ويُذَبِّحُونَ أبناءهم، ويستحيون نساءهم، وهنا انفقَت الأموال والجهود من أجل بناء تلك الأهرامات الضخمة واستعبدوا الناس.

انزل إل البحر الميت وهنا فيما تكثر الأقوال كان مصرع قوم لوط الذين كانوا يأتون الفاحشة والعباد بالله، تلك مساكنهم لم تُسَكَّنْ من بعدهم، فالإنسان ينظر ويتعظ أمّا أن ينظر ولا يتعظ فكأنه ما نظر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَىٰ الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (198)

[سورة الأعراف]

أو قلب النفس كما كان يقال سابقاً أي القلب قلبُ الجوزة داخلها، وقلب النفس داخلك أنت، أنت الذي تُحب وتكره هذا جسد، الذي نراه الآن هو صورتك، أنا الآن لا أعلم ماذا يدور في داخلك، أنا أرى صورتك فقط، هذا جسد، أما القلب فهو الداخل، فإما أن القلب هو المصنَّع.

{ إِذَا صَلَّحْتَ صَلَّحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ }

[متفق عليه]

أو قلب النفس.

على كل بالنتيجة العقل هو عملية تتم في القلب، في قلب الإنسان، فيتعقل الأشياء أي أنه يُدرِكها، العمليات تتم في القلب عن طريق العقل، الفهم.

عندنا (input) و (output) باللغة الحديثة في الدورات يقولون: (input)، (output).

Input: المُدخَلات، سمعك وبصرك:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ (23)

[سورة الملك]

تُدخِل المعلومات من خلال السمع، تسمع معلومة أو ترى شيئاً من آيات الله فُتدخِلُه إلى قلبك، في القلب تتم عملية العقل، أي الإدراك، فهم المعلومة، فُنتج (output) مُخرجات. رأيت شجرة تأملت بها، هذا (input)، عقلتها بشكل صحيح قلت: سبحان الخالق العظيم ! هذه (output).



العقل هو عملية إدراك المُدخَلات وإخراجها

فالعقل هو عملية إدراك المُدخَلات وإخراجها، بُراد اليوم للأسف الشديد من بعض الأدياء، من بعض الناس بحسن نية أحياناً وبسوء نية أحياناً أخرى كثيرة أن يُجعل العقل قسيماً للنقل، لوجي السماء، و كأن العقل شيء مستقل، يقول لك أحدهم: قال لي عقلي، ما شاء لله وما هذا عقلك ! أنا لم أفهم، وأنا قال لي عقلي بالعكس، أنت قال لك عقلك: لا يجوز، أنا قال لي عقلي: يجوز. كيف نتفق أنا وأنت إن لم يكن هناك مصدر ووجي السماء؟ ففضية قال لي عقلي، لا يوجد شيء اسمه: قال لي عقلي، أنت عندك مُدخَلات من الخارج تعقلها وتُخرجها مُخرجات.

العقل إن تمّ، أي عملية الفهم إن تمّت وفق منهج الله عز وجل المُخرجات صحيحة، إن تمّت دون وجي السماء المُخرجات خاطئة، لأن عملية العقل إن لم تستنر بنور الوحي فممكّن أن ينتج مع الإنسان أشياء تخجل من ذكرها.

في فرنسا إباحة الزنى بالتراضي، معروفة منذ زمن بعيد، الآن حَفَضوا السن الذي يُباح به الزنى أصبح خمس عشرة سنة، إن قامت فتاة بالتراضي مع صاحبها بالزنى، بالفاحشة بالتراضي فليس له أي مشكلة في العقل الفرنسي، أبداً، لا يوجد مشكلة، لكن العقل الفرنسي يحارب زواج القاصرات، الزواج ممنوع، الزنى مسموح، كيف؟ عقل.

هكذا عقلوا المعلومة.

بعيداً عن وجي السماء أشياء مضحكة، أشياء مضحكة فعلاً، لأنه لا يوجد مصدر، عندما لا يكون هناك مصدر للتلقّي، ونعتمد كلمة العقل هي المصدر، أرني عقلك ماذا يقول لك، كل واحد عقله سيقول له شيئاً مختلفاً عن الآخر.

الآن ألغوه، هو لا يُلغى، معاذ الله أن يُلغى، لكن للحظة معينة ألغوا المصدر التشريعي الذي هو الوحي، ألغوه، ودعنا نطرح قضية للنقاش بعقولنا، من غير أي نص، إذا نحن كنا عشرين شخصاً كل واحد برأي إلى من تحكّم؟

هذه مشكلة من يسمون أنفسهم اليوم العقلانيين أو المدرسة العقلية في الدين، مشكلة بدأت منذ المُعْتَرلة، إلى مُعْتَرلة اليوم لكن بشكل صارخ جداً، وبشكل أنهم يضعونها على الإعلام، وفي إلبس بوك، وفي كل مكان، يا أخي اليوم نحن في عصر العلم، عصر العقل، نريد أن نُفكر بشكل جيد، فكر ما شئت في الدنيا، وأنتج ما شئت، لكن أن تعقل المعلومة بعيداً عن وجي السماء فالنتائج مضحكة: (أفلا تعقلون).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
حَتَّى إِذَا ابْتِئَاسَ الرَّسُلُ وَطَنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ تَصْرُتًا فَنَجَّى مَن نَّشَاءُ وَلَا يَرُدُّ
بَأْسَنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (110)

[سورة يوسف]

يوجد يُأس ويوجد استئيس.
يأس: قَتَطَ، فَقَدَ الأمل، اليأس فقدان الأمل، هذا الشاعر الذي قال:
بدلاً من متفاعل، قال: متفائل، فهذا تفاعل، لكن ربما يكون أبه نوعاً ما.
وأحياناً هناك يأس فيه قنوط من رحمة الله، هذا يكاد يكون كفرًا، لما قال لهم في هذه السورة نفسها:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا بَنِي إِدْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَبْأَسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَبْأَسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا
الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ (87)

[سورة يوسف]

فاليأس فقدان الأمل.
استيأس: كأنه طَلَبَ اليأس، من شدة ما أحاط به من خطوب، مثل استسقى طَلَبَ السقيا، استطعم طَلَبَ الطعام، هذا استيأس، أي يكاد يطلب اليأس من شدة ما أصابه.
الأنبياء، الرسل يئسون؟ بنص الآية استيأس الرسل، (حَتَّى إِذَا اسْتِئَاسَ) حتى كان قبلها شيء، أي هم لما قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ
فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَفَلَا يَعْقِلُونَ (109)

[سورة يوسف]

إذا جاؤوا للدعوة إلى الله عز وجل فدعوا قومهم فتأخروا النصر، وتأخرت الإجابة، فوصلوا إلى مرحلة استيأسوا فيها، هذا الربط بين الآيتين.



المؤمن لا يئس من رحمة الله
فلما استئسوا، (وَطَنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ تَصْرُتًا) هم لم يستئسوا من رحمة الله، معاذ الله لنبي، المؤمن لا يفعلها ويئس من رحمة الله، (إِنَّهُ لَا يَبْأَسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ) لكن هم استئسوا من أن يستجيب لهم أحد، أي يئسوا من الناس وليس من رب الناس.

قال لك: أنا والله هذا الطالب جلست معه لمدة عشرين درساً إلى الآن أقول له: كتب الطالب، يُعرب كتب: مبتدأ، يُستث منه، هذا لن يفهم العربية، لا يعرف الفعل من الاسم، فهو لم يبنس من رحمة الله، يقول لك: ربما من الله كل شيء جازز لكن أنا هذا لا أظن أن سيهتدي، هذا استنباس من الناس وليس من رب الناس، والدليل: (وَطَلُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا) أي تيقنوا هنا الظن بمعنى اليقين، لكن عندما لم يكن يقيناً منه بالمنة قال: وطلُّوا، أي (قَدْ كَذَّبُوا)، وهناك قراءة: قد كذبوا، كذَّبهم قومهم، كذبوا وقرنت كذبوا، قراءة حفص كذبوا، (وَطَلُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا) أي كذبهم قومهم تكذيباً شديداً، وبالغوا في تكذيبهم، قال:

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ
حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَرَ الرُّسُلُ وَطَلُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا جَاءَهُمْ تَصْرُتًا فَنجَّيْ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ
بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (110)

[سورة يوسف]

وهذا يشير إلى أن أشد ساعات الظلمة هي قبيل طلوع الفجر، فكلمنا وجدت الحياة قد أظلمت فتيقن أن الفرج اقترب، لكن اقترب في العمر الزمني ليس هناك قريب بمعنى القريب الذي نريده نحن أي غداً، لا، لأن العمر الزمني أكبر من حياتي وحياتك لكن هو قريب إن شاء الله.

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ
إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (6) وَتَرَاهُ قَرِيبًا (7)

[سورة المعارج]

(وَطَلُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا) قال: (جَاءَهُمْ تَصْرُتًا) في اللحظة الحاسمة التي وصلوا بها إلى أنه لن يهتدي أحد، ولن يكون هناك نصر، والوضع سيء ومستعص جداً أتى النصر من الله عز وجل، قال: (فنجَّيْ مَنْ نَشَاءُ) فنجى الله عز وجل من يشاء بعد أن يأتي العقاب والعذاب للكافرين (فنجَّيْ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا) أي قوَّتنا وجبروتنا: (عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ)، المُجرم هو الذي ارتكب الإجمام، أجم بحق نفسه حينما حرّمها الهدى، وأجم بحق الآخرين لأنه لمّا منع نفسه عن الهدى استحلَّ الخُرّمات، واعتصب الأملاك، وربما سفك الدماء.

(وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ) إذا لا يوجد شيء اسمه: البلاء يُعَمُّ، إلا بحالات خاصة:

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ
 وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُنَّ الَّذِينَ تَلَمَّوْا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللّٰهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (25)

[سورة الأنفال]

الأصل أن الله عز وجل يُعامل كل إنسان بعمله (فنجَّيْ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ).
نوح عليه السلام، لأتركب في السفينة إلا من آمن، نجَّاهم ربنا عز وجل بمعجزة، بهذه السفينة، ثم علَّت الأمواج على القوم المجرمين.

العبرة من القصص هي فهم مدلولاتها:

الآية الأخيرة في سورة يوسف:

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ
لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهَدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ
(111)

[سورة يوسف]

(لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ) هذه القصة وغيرها من قصص القرآن، أي ليس هذه القصة فقط، في قصصهم، قصة يوسف، قصة مريم عليها السلام، قصة صاحب الجنتين، وقصة، وقصة، إلى آخره، (لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ) كان هنا ليست بمعنى أنه كان، الآن لم يعد في قصصهم عبرة، وإنما بمعنى لقد كان بمعنى لقد وُجِدَت العبرة في قصصهم، كقوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَا يُجِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالشُّؤْمِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ "وَكَانَ اللَّهُ سَمِيحًا عَلِيمًا (148)

[سورة النساء]

(لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ) القصة كما أسلفنا، من قص الأثر إذا تتبَّعُه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
"وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَصَّيَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَسْعُرُونَ (11)

[سورة القصص]



القصة تتبَّع الأثر

(وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ) تتبَّع أثره، فالقصة تتبَّع الأثر، وفي القصة نحن نتبَّع آثار الشخصيات، ما الذي حصل مع يوسف بعد ذلك؟ ما الذي حصل مع إخوته؟ ما الذي حصل مع أبيه بعد أن ألقى القميص على وجهه فارتدَّ بصيراً؟ جاؤوا إلى مصر، ذهبوا إلى كنعان، هذا تتبَّع، فنحن نقصُّ آثار القوم في القصة، فسُمِّيت قصة.

(لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ) العبرة، أسلفنا لَمَّا تحدَّثنا عن الرؤيا، للرؤيا تعبرون، العُبر: عِبْرٌ: هو الانتقال من مكان إلى مكان، فأنت تعبر الشارع، تقطَّعه من هذا الرصيف إلى ذاك الرصيف، تعبَّره.

و العبرة: عِبْرَة العين، تنقل ما في داخلك إلى الآخرين، أنت حزين لكنك مُتماسك، لكن وصلت إلى حد من الحزن ففاضت عِبْرَةٌ من عينك ففهم الناس أنك حزين، فسُمِّيت عِبْرَة، عِبْرَة العين.

العبرة: التي تسير في البحر، تسمى عِبْرَة لأنها تعبر بالناس أيضاً.

تعبير الرُّؤى: لأن الرؤيا تكون رموراً، فلَمَّا يُعبَّرُها يُعبَّرُ بها من واقعٍ خفيٍّ إلى واقعٍ جليٍّ، يُعبَّرُها، انظروا إلى دقة اللغة.

العبرة في القصة: أنك تنتقل من القصة تُعبَّر من القصة إلى ما وراء القصة فتفهم مدلولها، فتأخذ منها العبرة، كله من عِبْر تُعبَّر، لا ينبغي أن تقف عند القصة، يجب أن تُعبَّر من الأشخاص الذين فيها إلى العِبْر المستفادة منها، فتقرأ كيف كان يوسف عليه السلام عفيفاً فتعتبر بأن العفة هي خُلُق الشباب المسلم، فتتَّعَف عن الحرام، وتنتظر كيف أن الله غالبٌ على أمره فتعتبر بأن الله عز وجل سينصر دينه مهما تكالبت عليه الخُطوب.

وكان بعض الصالحين يقول: سورة يوسف ما قرأها محزونٌ إلا أذهب الله غمَّه.

قصة سيدنا يوسف عبرة لأصحاب القلوب السليمة وليست حديثاً يفترى:

تسمعتُ من بعض الأخوة العراقيين أنهم في العراق عند الوفاة يقرؤون سورة يوسف، ليس على أنها سُنة، ليست سُنة قراءة سورة يوسف عند الوفاة، لكن لأنهم يشعرون بأنها تُسَرِّي عن قلوبهم الهمَّ، لأن كل من في قصة يوسف عليه السلام كشف الله همَّه، وفرَّج كربَه، فالله تعالى قادرٌ على أن يُفَرِّج كَرْبَكَ، ويكشف همَّك.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقَالَ الَّذِي اسْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ
الْآحَادِيثِ "وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (21)

[سورة يوسف]

(لَعَدَّ كَانٍ فِي فَصِيحِهِمْ عَيْزُهُ لِأُولِي الْأَلْبَابِ) الألباب: اللَّبُّ هو داخل الشيء، لُبُّه، ويوجد القشور، لكن الذي عنده لُب، أي داخل، ما معنى عنده لُب؟ كل الناس عندها لُب، لكن عنده لُبٌ سليم، قلبٌ سليم.

(لأُولِي الْأَلْبَابِ) لأولوي القلوب السليمة، تماماً؟ هؤلاء أولو الألباب.

(مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى) ما يقضه الله عليك في القرآن الكريم ليس حديثاً يُفْتَرَى، يُخْتَلَقُ، لا أصل له، ليس قصةً للتسليية، كما يقرأ الإنسان أحياناً قصة فيتسلى بها قبل أن ينام، وليس قصة للإمتاع الأدبي كما يقرأ إنسان مهتم بالأدب قصةً قد صاغها الأديب بوصف رائع ووصف الشخصيات فُيْمَعُ أديباً، لا، ليس كذلك.

(مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى) ليس روايةً تُوظَّفُ لخدمة الطغاة، أحياناً تُكتب روايات من أجل مدح الطغاة، وتعزيز دورهم، أي رواية بنكهة سياسية، **(مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى)** أي الأحداث حقيقية.

القرآن الكريم وما جاء قبله:



القرآن هو الخاتم والمُصَدِّق لما جاء قبله

الأحداث حقيقية مئة بالمئة، ولكن تصديقها، أي كان هذا الذي رويناك لك، الذي قلناه لك كان تصديق الذي بين يديه، بين يديه أي الكتب السابقة، أنت عندما تسير في موكب أمامك أشخاص، وخلفك أشخاص، الذين سيقوك هم بين يديك، والذين هم وراءك خلفك، فالذي سبقك بين يديك، فلما يقول: **(وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ)** ليس بين يديه خلفه، بل أمامه، أي الذي سبقه من الكتب السماوية، فهناك التوراة والإنجيل والربور فهو الخاتم والمُصَدِّق لما جاء قبله، وقد ورد عن سيدنا ابن عباس، أعتقد قوماً من اليهود سمعوا لما أنزلت سورة يوسف فاسلموا لأنهم وجدوها كما في كتبهم، وورد في بعض أسباب النزول أن سبب نُزُولِ سورة يوسف أنهم سألوا النبي صلى الله عليه وسلم أن يقصَّ عليهم سورة يوسف، فجاءت كما في كتبهم: **(وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ)** ما سبقه من الكتب، جاء مُصَدِّقاً وبأحسن ما يكون.

(وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ) تفصيل أي مُفَصَّل، يأتي على المقاس تماماً.

أنت أحياناً تقول: والله أنا ذهبت إلى أكثر من محل لأشتري بدلة، لكن لم أجد شيئاً يناسبني، فقيل لي إن هناك خياطاً يُفَصِّلُها تفصيلاً فتأتي على المقاس، فذهبت إليه لصنع بدلة مُفَصَّلَة تفصيلاً وليست جاهزة.

(وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ) مما سبقهم من كتب **(وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ)** كل شيء في القصة، هنا كل شيء، أي إذا جاء إنسان وقال لك: أليس القرآن تفصيلاً لكل شيء؟ تقول له: نعم.

سألت أحدهم عالماً: في القرآن تفصيل كل شيء؟ قال: نعم، قال: كم في هذا الكيس من قمح؟ كم كيل في القمح؟ يريد كيلاً، الكيل غير موجود في القرآن الكريم، فقال له: نعم في القرآن.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ "فَأَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (43)

[سورة النحل]



في القرآن تفصيل كل شيء

فهناك أشياء ذكرها القرآن في الأمور التي لم أذكرها، أسأل أهل الذكر، فهذه ليست في القرآن، هذه تحتاج إلى شخص يكيل القمح ويعلم القمح كم كيلاً؟ فكلمة كل شيء لا تعني كل شيء بمعنى أن كل إنسان يحتاج إلى علم بالفيزياء والكيمياء ويرجع إلى القرآن ويجده، لأن هناك بعض الناس اليوم يفهمون ذلك، يبدؤون يبحثون عن الطاقة الكهروضوئية في القرآن الكريم ويلوون عنق النصوص.

(تفصيل كل شيء) بمعنى أن كل الأمور التي تناسب الهدى للناس قصَّأها الله تعالى، وجاءت على القياس المناسب على الجميع، وليس معنى ذلك أن كل شيء يعني كل شيء في الحياة، لا، القرآن منذ اللحظة الأولى قال لك:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (2)

[سورة البقرة]

ففي ناحية الهدى لن تجد في القرآن ما ينقصك أبداً، بالهدى، لأن هدفه الهدى، ففي قضية الهدى هو مفضلٌ فيه كل شيء، ما ترك شيئاً، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم:

{ ما تركت شيئاً يقربكم إلى الله إلا وأمرتكم به، وما تركت شيئاً يبعدكم عن الله إلا وقد نهيتكم عنه }

[رواه الطبراني]

كل شيء، لكن عندما تتحدثون له عن تأبير النخل يقول:

{ أنتم أعلم بأمور دينكم }

[صحيح مسلم]

اذهبوا إلى الخير، فاسألوا أهل الذكر، كل فن له أهل ذكر يعرفون به، هذا أمر دينوي لا علاقة له بالهداية.

القرآن الكريم هدى ورحمة:

(وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) أي القرآن هدى، والقرآن رحمة، لقوم يؤمنون.

الهدى والرحمة شيان: الهدى وقاية والرحمة علاج، أنت إن سرت على هدى القرآن الكريم فأنت في وقاية من أن يصيبك مكروه، فإن وقعت في مكروه بسبب معصية الله تعالى فالقرآن يُعالجك فيه الرحمة، يرحمك، لا يقضي عليك بمجرد معصية عصيتها، فهو هدى يفيك من الوقوع في المهالك، ورحمة إن زلت قدمك ووقعت في مهلكة ما يرحمك الله تعالى، لكن لقوم يؤمنون، أما لقوم يكفرون فلن يجدوا في القرآن هدى ولا رحمة.

الإيمان هو البداية والنهاية:

هنا السؤال المهم الإنسان يقرأ القرآن سيؤمن أم يؤمن فيقرأ القرآن فينتفع؟ لا، يؤمن فيقرأ القرآن فينتفع.

ستستغربون، هو يؤمن إيماناً مبدئياً فيقرأ القرآن فيه هدى ورحمة فيزداد إيمانه ويرتقي عند الله، فالإيمان أولاً وأخيراً، والدليل في صحيح البخاري، كانت السيدة عائشة رضي الله عنها تقول:

{ أوتينا الإيمان قبل القرآن }

ما معنى أوتينا الإيمان قبل القرآن؟ أي نحن عندما نظرنا في الكون، تأملنا في عظمة خلق الله، أصبح عندنا مفردات إيمانية بأن هناك إلهاً لهذا الكون، هناك إله عظيم، فلما قرأنا القرآن وجدنا فيه الغذاء لروحنا وفطرتنا، لأن الإيمان مركز في الفطرة، قبل القرآن الإيمان مركز في الفطرة، الإيمان أولاً والإيمان أخراً، هو البداية والنهاية، طبعاً أنت في الإيمان الفطري تُقيل على القرآن فنتفع به، لكن لا يكفي الإيمان الفطري، تحتاج بعدها إلى بناء الإيمان وفق القواعد الشرعية، ووفق افعال ولا تفعل، لكن عندك إيمان مبدئي، لذلك قال: لقوم يؤمنون، أي بدأت عندهم رغبة وبدا عندهم إيمان فطري واضح، فكان القرآن هداية لهم، بدليل أن كثيراً من الناس يقرؤون القرآن فلا ينتفعون به، لأنه في الأصل لم يتوجه لقراءة القرآن بدافع الهداية، وإنما ربما بدافع اللغة، أو بدافع التبرك أحياناً، التبرك أقصد به بمجرد التبرك، القرآن يتبرك الإنسان به لكن تبرك فقط من غير انتفاع، فلا يجد فيه بُغيته، فلذلك قال تعالى: **(وَتَقْمِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)**.

والحمد لله رب العالمين